النهار

"كيسان" من الذكريات كل ما تبقى لوالدة المفقود في الحرب اللبنانية أيمن سليم

١٣-٠٨-٢٠١٨ | ١١:٣٥ **المصدر**: "النهار"

أسرار شبارو

ستة وثلاثون سنة وهي تنتظر عودته، أو على الأقل خبراً يطمئنها عنه، لا بل حتى يكشف مصيره الغامض، تسأل نفسها عما إن كان لا يزال على قيد الحياة، كيف اصبح شكله، هل سيأتي اليوم الذي تحضنه فيه أم إنها ستفارق الحياة قبل ان تبرّد بدموع الفرح نار حرمانها الطويل. هذا حال نهاد الجردي والدة المفقود في الحرب الأهلية اللبنانية أيمن سليم كما حال باقي اهالي المفقودين الذين ذاقوا مرارات الشوق على ابناء "لا ضلّوا ولا فلوا."

مزمنٌ الألم في صدرها، تجاعيدها تروي حكايات ليال عاشتها تبكي فيها حبيبها، تتذكر كل لحظة قضتها معه، شهور حملها به، يوم ولادته والفرحة التي لم تسعها حينها، اللحظة التي نطق فيها "ماما" وخطواته الأولى، عندما كانت ترافقه الى المدرسة وكيف دخل الجامعة، يوم توظف في "بنك لبنان والمهجر" فرع الحمرا، سهراتها معه، جلساتهما الطويلة مع العائلة واحاديثهما اللطيفة. فجأة انقلب الحال ولم يبق من تلك الايام سوى صور تقلبها مستعيدة ذكرياتها مع ابن ربّته ٢١ سنة، لتفقده بحرب لا يد له فيها، ومع هذا ما زالت تعيش على قيد الامل، مؤكدة على انها لن تتوقف عن البحث عنه، "فمن حقي ان اعرف مصيره."

"من أين أبدأ"؟

في بلدة العزونيّة مسقط رأس زوجها انتظرتنا نهاد (٧٦ سنة) أمام بيتها، لتسرد قصة ألمها الطويل، بمحبة عانقتنا وكأنها تعرفنا منذ سنين، جلسنا على طاولة في حديقة منزلها القديم، كل حجر في بيتها يشعر الزائر انه سينطق ليروي معاناتها، وسماعه لأنينها حين يشتدّ شوقها وحنينها. لا تعرف نهاد من أين تبدأ، هل من لحظاتها السعيدة مع ابنها، او يوم علمت بفقدانه وهو متوجه بسيارة مدير مدرسة في البلدة يدعى فريد كوكاش وصديقه شاهين عميد من الضيعة الى بيروت" ليتم توقيفهم في بحمدون، ويقتادهم مسلحون لبنانيون الى المجهول، كان ذلك يوم الاثنين في ٢٢ حزيران من العام ١٩٨٢ عند الساعة العاشرة صباحاً، حينها كان يرتدي جينزاً وقميصاً ابيض، لا زلت اذكر جيداً"، مؤكدة ان" ابني ليس في السجون السورية فمن خطفه جهة لبنانية."

"كنز العمر"

منذ ذلك التاريخ انقلبت حياة نهاد رأساً على عقب، باتت تعيش من اجل هدف واحد، وهو سماع خبر عن مصير ايمن" حتى وصل بي الحال بطرق باب البصارين، دفعت الكثير من المال من دون ان اصل الى نتيجة". تدمع عيناها، تتنهد بحرقة لم تخفت مع مرور السنوات، تطلب منا الانتظار، دخلت الى البيت لتخرج حاملة كيسين صغيرين من النايلون، فتحتهما ليتبين ان كنز عمرها داخلهما، صور ايمن، كل ما بقيَ لها من اثره، وتبدأ بتعريفنا "هنا كان يشوي اللحم، وفي هذه الصورة كان في حفل، وهنا مع الأقارب في البيت، كان هو محور الحياة، احب الناس، في وجوده لم يكن يخلو المنزل من الاحباب"، وتتابع "آه كم الذكريات جميلة ومؤذية في آن واحد، جميلة لانها تشعرني انه حاضر معي لا يفارقني، ومؤذية حين استيقظ على الواقع المرير، واقع الترقب الطويل لعودة النبض الى عروقي عند خروج حبيبي من سراديب المجهول."

المخطوفون ايمن، فريد، وشاهين

زيارة الحبيب

عند سؤالها عن أحب اللحظات اليها مع ايمن، وقفت ورفعت قدميها وفتحت يديها وكأنها تعانقه، لتشرح والدمع محبوس بعينيها "حين كنت اودعه صباحاً للذهاب إلى عمله، واملّس قبة قميصه" تسكت قليلاً، تحاول جمع قواها التي بعثرتها اعادة مشهد لمس حبيبها بيديها "آه كم آلمني فراقه، رأيته مرة واحدة مجسد حقيقة بعد خطفه، حينها كنت واقفة انتظر وصول حفيدي من مدرسته، ظهر ايمن امامي قائلا لي انا عدت يا امي وهذه زوجتي، صرخت حتى سمع الجيران صوتي قبل ان اغيب عن وعيي، ومنذ ذلك الوقت لم المحه، نعم يزورني بين الحين والاخر في المنام، لكن لا يحدثني كما الحال حين رأيته واقفاً عند الباب، ليته يعود اليّ في الحقيقة لأكمل ما تبقى من أيامي القليلة معه."

حكاية "سترة"

تعاود نهاد تقليب الصور، تخرج من الكيس كرتونة صغيرة على شكل سترة زرقاء اللون، لتشرح خلفيتها وما تعنيه لها" هذه السترة صورة عن تلك التي غزلتها لايمن بيدي، كان يبلغ من العمر حينها ١٩ سنة، ما زلت احتفظ بها حتى الآن، على عكس اغراضه الباقية، لكونها اثقلت كاهلي، أردت التخفيف من وجعي بابعادها عن ناظري" قالت نهاد، مضيفاً "اهلي واولادي غير راضين عن تمسكي بالامل، وتكريس حياتي باحثةً عن بصيص نور يرشدني إلى طريقه، وانا مصرّة على استكمال رحلتي إلى أن القى روحي حتى آخر يوم من عمري"، لافتة الى انه "٦ سنوات وأنا اوضب ثيابه واحضر الطعام الذي يحبه لا سيما التبولة والبطاطا المقلية، وذلك بعد كل وعد تقطعه جهة لبنانية لفاعليات المنطقة باعادة المخطوفين، ليتبين ان الامر مجرد كذبة."

همّ يهدّ الجبال

صلبة هي نهاد، على الرغم من أن الهمّ الذي بين ضلوعها تعجز عن حمله الجبال، لم تعش حياتها كأي سيّدة، وتعتني بجمالها وأسنانها، اذ كيف لها ان تقف عند امور ثانوية بعد فقدان

"قلبها"، وعن الصعوبات التي واجهتها ودور زوجها في مؤازرتها علّقت "للاسف زوجي تعرض في بداية الحرب الأهلية لحادث سير في عين عنوب افقده القدرة على الحركة، فتحملت انا مسؤولية العائلة، توفي قبل نحو ٨ سنوات، تزوج ولداي وابنتاي، وربيّت حفيدي منذ ولادته، هو الآن يعيش معي، يبلغ من العمر ٣٤ سنة، يعمل سائق تاكسي في احدى الشركات ليلاً، كما اعمل انا في بيع الملابس لابناء الضيعة."

لا لحفنة تراب

بعد كل السنوات الذي ذاقت خلالها العلقم، ترفض نهاد ان تكون النهاية كما وصفت "حفنة تراب يتم نبشها والقول انها ما تبقى من ايمن"، مطالبة رئيس الجمهورية العماد ميشال عون ان يقوم بدوره كونه "بي الكل كما يقول، فليرشدنا على مصير ابنائنا"، وختمت موجهة تحية الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر التي اعادت لها قوتها بفضل برنامج مرافقة أهالي المفقودين، الهادف الى تقديم الدعم النفسي لهم، كما استذكرت المرحوم غازي عاد ووقفة النائب غسان مخيبر والوزير السابق زياد بارود مع اهالي المفقودين.

"هرمنا ونحن ننتظر "

عندما هممنا بالرحيل فإذ بنهاد تتذكر انها قطعت وعداً لوليد شقيق المخطوف شاهين، بأن تأخذنا لزيارته كي تصل صرخته الى مسامع المسوؤلين، توجهنا معها الى بيته الذي يبعد امتارا قليلةً، كان يجلس مع عائلته على الشرفة، طلبنا منه ان يعيد شريط ذكرياته عشرات السنين، حين فقد اخيه، ليروي لنا "انه في سنة مجيئه مع شاهين من السعودية حيث كانا يعملان في الباطون، خطف، لم تكن وجهته بيروت كما ايمن وفريد بل كان قاصدا عاليه من اجل انجاز ورقة، والى اليوم لم يصل". على عكس نهاد، قطع وليد الامل نهائياً بأن يكون شقيقه على قيد الحياة، قائلاً "كان عمره حينها ٢٢ سنة، عندما عدنا الى لبنان فتح صالون حلاقة في منطقة عين الرمانة، خطب شابة، من دون ان يكتب القدر له ان يتزوجها، فقد تزوجت بعد حادثة اختطافه لترزق بولدين متزوجين الان."

وليد شقيق المفقود شاهين

شرح وليد (٧٠ سنة) المعاناة التي عاشها وعائلته على مدى كل هذه السنوات وكيف ان والدته توفيت بعد ست سنوات من فقدان شاهين "رحلت والغصة في قلبها، اطبقت عينيها من دون ان تعاود رؤيته". واضاف "نشكر الصليب الاحمر الذي اعاد احياء ذكرى المفقودين في نفوسنا، على الرغم من ان شاهين لم يغب عن بالنا يوماً"، خاتماً "بدنا نعرف، ان فارق الحياة فليعيدوا جثته، واذا كانت الروح لا تزال في جسده فليفكوا قيده، نريد ان نرتاح هرمنا ونحن ننتظر ."

ويبقى خيط رفيع من الامل، خيط يحيك سنوات الانتظار التي تمرّ ببطء شديد على اهالي المخطوفين، علّه يأتي اليوم ويعانقون ابناءهم بشوقهم المتأجج فيطفئون حرقة سنوات.